

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

٤

معاذ

بن جبل

نافيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٤

مُعَاذُ بْنُ جَبَل

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

بمقرها في دار الكتب
شارع كامل صديق - القنطرة
٥٩٠-٨٩٤-١٥

مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ

كَانَ أَيْمَنُ طِفْلاً ثَرثاراً كَثِيرَ الْكَلَامِ لَا يُرَاعِي
آدَابَ الْحَدِيثِ ، فِدَائِمًا مَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ،
وَكَثِيرًا مَا يُقَاطِعُ مَنْ يُحَدِّثُهُ ، وَلَا يَهْتَمُّ بِالاسْتِمَاعِ
إِلَى مَا يُقَالُ لَهُ ، وَغَبْثًا حَاوِلَ وَالِدُهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ
آدَابَ الْحَدِيثِ ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ أَيْمَنُ لَوَالِدِهِ : مَتَى سَنَذْهَبُ إِلَى
النَّادِي ، وَمَنْ سَيَكُونُ مَعَنَا ؟ وَمَاذَا سَنَفْعَلُ هُنَاكَ ؟
وَهَلْ أَلْبَسُ مَلَابِسَ ثَقِيلَةً أَوْ خَفِيفَةً ؟
قَالَ وَالِدُهُ : سَنَذْهَبُ السَّاعَةَ ..

قَاطَعَهُ أَيْمَنُ بِقَوْلِهِ : وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ أَدْعُو
صَاحِبِيَّ سَامِحَ وَعَادِلَ ؟ لِنَلْعَبَ مُبَارَاةً فِي كُرَةِ

السَّئِلَةُ .

قَالَ وَالِدُهُ : نَعَمْ ، يُمَكِّنُكَ أَنْ ..

قَالَ أَيْمَن : عَظِيم ! .. أَتَعْلَمُ يَا وَالِدِي أَنَّنَا فِي

الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ هَزَمْنَا الْفِرْقَةَ الْمُنَافِسَةَ ؟ فَقَدْ اسْتَطَاعَ

سَامِحٌ أَنْ يُرَاوِغَ الْفَرِيقَ كُلَّهُ ، وَيُحَازِرَ هَدَفًا رَافِعًا .

وَالْيَوْمَ سَنَلْعَبُ ..

قَاطَعَهُ وَالِدُهُ : أَيْمَن .. الرَّحْمَةُ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ

أَصْبَتَنِي بِصُدَاعٍ .

قَالَ أَيْمَن : أَأَحْضِرُ لَكَ قُرْصَ أُسْبَرِينَ ، أَمْ كُوبًا

مِنَ الشَّاي ، أَمْ تُحِبُّ أَنْ تَنَامَ ؟

قَالَ وَالِدُهُ : لَا ، بَلْ سَأَحْضِرُ لَكَ أَنَا قِصَّةً

لَتَقْرَأَهَا ، عَلَى آلَا أَسْمَعَ لَكَ صَوْتًا حَتَّى تَنْتَهِيَ

منها .

قال أيمن : وما اسم هذه القصة ؟ أهى مُسَلِّيَّة يا

أبي ؟

قال والده : نعم ، ومُفِيدَةٌ لك أيضا .

قام والده وأحضر القصة ، وقال لأيمن : ها هي

القصة فاقرأها .

قال أيمن : قصة مُعَاذِ بْنِ جَبَل .. مَنْ هُوَ يَا أَبِي ؟

قال والده في حَزْمٍ : اقرأ القصة يا أيمنُ أولاً .

وبدأ أيمنُ يَقْرَأُ قصة مُعَاذِ بْنِ جَبَل ، فعرف أنَّ

مُعَاذًا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَيَّامَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ أَسْلَمَ وَهُوَ فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ مِنْ

عُمُرِهِ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَكَانَ أَحَدَ

الاثنين والسبعين شخصاً الذين بايعوا الرسول
صلى الله عليه وسلم يوم العقبة . وعندما عاد إلى
المدينة ، حرص هو وبعض الفتيان أن يكسروا
الأوثان وينزعوها من بيوت المشركين ، وكانت
لهم حكاية طريفة ، ساعدت على دخول أحد
كبار رجالات يثرب « المدينة » في الإسلام ، هو
عمرو بن الجموح وكان عمرو بن الجموح
سيّداً من سادات بني سلمة ، وكان له صنم من
الخشب يحبه ويعتنى به أشدّ اعتناء ، فيلقفه في
الحرير ، ويطيّبه بأفخر العطور . ففي أثناء الليل
وعمرؤ بن الجموح نائم ، جاء معاذ بن جبل ومن
معه من الفتيان ، فحملوا الصنم والقوة في حفرة

مَلِيئَةٌ بِالْقَاذُورَاتِ . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ عَمْرُوٌ لَمْ يَجِدْ
صَنَمَهُ فِي مَكَانِهِ ، فَرَاخَ يَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى وَجَدَهُ
مُلْطَخًا بِالْوَحْلِ وَالْقَاذُورَاتِ ، فَغَضِبَ غَضَبًا
شَدِيدًا ، ثُمَّ نَظَّفَهُ وَطَيَّبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّ مَنَاةَ :
« اسْمِ الصَّنَمِ » وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ مِنْ صَنَعِ بَكَ
هَذَا لِأُخْزِيَنَّهُ . وَتَكَرَّرَ نَفْسُ مَا حَدَّثَ فِي الْيَوْمِ
التَّالِي ، فَتَكَرَّرَ غَضَبُ عَمْرُو ، فَوَضَعَ مَعَ الصَّنَمِ
سَيْفًا وَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذَا السَّيْفَ وَدَافِعْ عَنْ
نَفْسِكَ . وَجَاءَ الْفَتَيَانُ وَفَعَلُوا بِالصَّنَمِ مَا فَعَلُوهُ فِي
الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ ، فَأَلْقَوْهُ فِي الْوَحْلِ وَرَبَّطُوا
السَّيْفَ فِي عُنُقِ كَلْبٍ مَيِّتٍ .

فَاغْتَاظَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ مِنْ صَنَمِهِ الَّذِي لَمْ

يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ إِذْ يُسْتَطِيعُ
أَنْ يَحْمِيَهُ هُوَ أَوْ يَحْفَظَهُ ؟ فَأَلْقَى بِهِ بَعِيدًا وَأَعْلَنَ
إِسْلَامَهُ .

ضَحِكَ أَيْمَنُ كَثِيرًا وَقَالَ : يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ
طَرِيفَةٍ ، إِنَّ مَا فَعَلَهُ مُعَاذٌ وَأَصْحَابُهُ بِالصَّنَمِ ..
قَاطَعَهُ أَبُوهُ وَقَالَ : اكْمِلِ الْقِصَّةَ يَا أَيْمَنُ ، فَإِنَّ
حَيَاةَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، مَلِيْنَةً بِالْعِبَرِ وَالْمَوَاقِفِ الرَّائِعَةِ .
وَاسْتَمَرَ أَيْمَنُ فِي قِرَاءَةِ الْقِصَّةِ ، وَعَلِمَ مِنْهَا أَنَّهُ
عِنْدَمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، حَرَصَ مُعَاذٌ عَلَى مُلَازِمَتِهِ ، وَأَخَذَ
عَنْهُ الْقُرْآنَ وَشَرَائِعَ الدِّينِ ، فَكَانَ لَا يَتَغَيَّبُ عَنْ
مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الرَّسُولِ ، وَيُظَلُّ صَامِتًا

يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ ، فَيَعْبَى وَيَحْفَظُ مَا يَقُولُ ، حَتَّى صَارَ
مَنْ أَقْرَأَ الصَّحَابَةَ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِشَرَائِعِ
الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ قَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَل) .
وَكَانَ لِمُعَاذِ الشَّرَفُ أَنْ كَانَ مِنَ السَّتَّةِ الَّذِينَ جَمَعُوا
الْقُرْآنَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أُرْسِلَ الرَّسُولُ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، لِيُعَلِّمَ النَّاسَ
تَعَالِيمَ الدِّينِ وَيُفَقِّهَهُمْ فِيهِ . وَسَأَلَهُ الرَّسُولُ : بِمَاذَا
تَقْضَى يَا مُعَاذُ ؟ قَالَ : بِكِتَابِ اللَّهِ . فَسَأَلَهُ
الرَّسُولُ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قَالَ : فَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ . فَسَأَلَهُ :
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قَالَ فَأَجْتَهِدُ بِرَأْيِي . وَقَدْ كَانَ لِمُعَاذِ

عَقْلٌ وَاعٍ مُسْتَنِيرٌ ، أَعَانَهُ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ .
 وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُودَّعَ مُعَاذًا
 فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ مُعَاذٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ ،
 يَمْشِي النَّبِيُّ إِلَى جَانِبِهِ ، وَقَالَ لَهُ : (يَا مُعَاذُ ، إِنَّكَ
 عَسَى أَلَّا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُمَرَّ
 بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي ..) فَبَكَى مُعَاذٌ لِفِرَاقِ النَّبِيِّ ،
 وَصَدَقَتِ النَّبُوءَةُ ، فَمَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ مُعَاذٌ مِنَ الْيَمَنِ . وَعَادَ مُعَاذٌ إِلَى
 الْمَدِينَةِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَقَدْ أَثْرَى
 وَاعْتَنَى ، فَطُلِبَ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُعِيدَ إِلَى
 بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ نِصْفَ مَالِهِ . وَلَئِنَّهُ وَاثِقٌ مِنْ
 طَهَارَةِ مَالِهِ ، رَفَضَ وَقَالَ :

- إنه مالى ولا شبهة فيه

ونام مُعَاذٌ ورأى رؤيا أنه يعبرُ بحيرةٍ ويخافُ
الغرقَ ، حتى جاء عُمرُ وأنقذه . فأسرع إلى عُمرَ
وطلب منه أن يشاطره نصف ماله .

ولكنَّ أبا بكرٍ رفضَ لثقتِه في مُعَاذٍ وفي أمانته .
قال أيمن : كيف يشكُّ عمرُ بنُ الخطَّابِ في
أموالِ مُعَاذٍ . وقد نشأ مُعَاذٌ في مدرسةِ النبوةِ ،
وتعلَّم على يدِ الرِّسولِ ، فكيف له أن يشكَّ في
أحدِ تلاميذِ الرِّسولِ ؟

قال أبوه فرحاً بملاحظة ابنه : لا تتعجل يا
أيمن . . وأكمل قراءة القصَّة ، وسوف تعرفُ أن
سيِّدنا عُمرَ ، كان يعرفُ مُعَاذَ قدره ، وكان

يستشيرهُ دائما . وقال عمه : لولا مُعاذُ بنُ جبل
لَهلكَ عُمر

وأكملَ ايمنُ قراءةَ القصَّةِ ، فعرفَ الكثيرَ عن
مُعاذٍ ، وعرفَ كذلكَ أنَّ سيِّدا عمر ، بعثَ مُعاذًا
ليوزَّعَ الأعطياتَ على بني كلاب . وعاد مُعاذٌ
إلى زوجته حاويَ اليدين ، فسألته : أينَ ما جئتَ
به ممَّا يأتى بهِ الوُلاةُ من هديَّةٍ لأهلهم ؟

وردَ عليها مُعاذٌ : لقد أُرسلَ معي عُمرُ رقيبا
يُحصيَ عليَّ .

وعلمَ عُمرُ بما قاله مُعاذٌ لزوجته ، فسأله
مُسْتَكرا : أُرسلتَ معكَ رقيبا ؟

فردَّ مُعاذٌ : لا . ولكني لم أجِدْ شيئا أعذرُ بهِ
إليها إلا ذلك .

وَضَحِكَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ ، وَأَعْطَاهُ بَعْضَ الْهَدَايَا
لِزَوْجَتِهِ لِيَرْضَى .

وَأَرْسَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الشَّامِ إِلَى عُمَرَ
ابْنِ الْخَطَّابِ يُخْبِرُهُ بِانْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الشَّامِ ،
وَيَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الدِّينَ ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِيهِ .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ ثَلَاثَةً مِمَّنْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ أَيَّامَ
الرَّسُولِ ، هُم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعِبَادَةُ بْنُ
الصَّامِتِ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ . وَكَانَ مُعَاذٌ دَائِمَ الدَّعْوَةِ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، وَكَانَ يَرَى فِي الْعِبَادَةِ قَصْدًا
وَعَدْلًا . وَسَأَلَهُ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعَلِّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ :
هَلْ أَنْتَ مُطِيعٌ إِنْ عَلَّمْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
اعْتَدِلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَاكْتَسِبْ

وَلَا تَأْتُمْ ، وَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا مُسْلِمًا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَدْعُوَ
عَلَيْكَ مَظْلُومٌ .

وَلَا حَظَّ أَيْمَنَ مِنْ سِيَاقِ الْقِصَّةِ أَنْ مُعَاذًا كَانَ
دَائِمًا كَثِيرَ الصَّمْتِ ، كَثِيرَ التَّأَمُّلِ فِي الْكَوْنِ ،
قَلِيلَ الْكَلَامِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ لَا
يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ .

وَقَدْ وَصَفَهُ أَحَدُ مُعَاَصِرِيهِ فَقَالَ : كَأَنَّمَا يُخْرِجُ
مِنْ فِيهِ نُورًا وَلَوْ لَوْ . وَكَانَ مُعَاذٌ غُنُصْرًا مُشْتَرَكًا
فِي جَمِيعِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ ، يَجْلِسُ فِيهَا صَامِتًا لَا
يَتَحَدَّثُ إِلَّا إِذَا طُلِبَ مِنْهُ الْحَدِيثُ ، وَإِذَا اخْتَلَفَ
الْحَاضِرُونَ فِي شَيْءٍ ، رَدَّوهُ إِلَيْهِ لِيَفْصِلَ فِيهِ ، عَلَى
الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ أَصْغَرَ الْحَاضِرِينَ سِنًا .

وفى الشام أُصيب مُعَاذٌ بِالْوَبَاءِ . فَلَمَّا حَضَرَتْهُ
الْوَفَاةُ اسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ وَنَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الدُّنْيَا وَطَوَّلَ الْبَقَاءِ فِيهَا
لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ وَجَرَى الْأَنْهَارِ ، وَلَكِنْ لَظَمْتُ
الْهَوَاجِرَ ، وَمَكَابِدَةَ السَّاعَاتِ ، وَمُزَاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ
بِالرُّكْبِ عِنْدَ خَلْقِ الْعِلْمِ . وَلَقِيَ مُعَاذٌ رَبَّهُ وَهُوَ فِي
الثَّالِثَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى أَيْمَنُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقِصَّةِ ، قَالَ
لِوَالِدِهِ : يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ جَمِيلَةٍ يَا أَبِي !
قَالَ أَبُوهُ : وَمَاذَا تَعَلَّمْتَ مِنْهَا يَا أَيْمَنُ ؟
قَالَ أَيْمَنُ : تَعَلَّمْتُ مِنْهَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مِنْ
فِضَّةٍ ، فَالسُّكُوتُ مِنْ ذَهَبٍ .

قال أبوه : حَسَنٌ يَا أَيْمَنُ ، وَيَجِبُ عَلَيْكَ دَائِمًا
أَنْ تَتَذَكَّرَ الدُّعَاءَ الْمَأْثُورَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَمْتِي
فِكْرًا ، وَنُطْقِي ذِكْرًا .
وَالآنَ هِيَ لِنُذْهَبَ إِلَى النَّادِي ، حَتَّى لَا نَتَأَخَّرَ
عَنْ أَصْدِقَائِكَ .